افتتاحية العدد

فضيلة الإمام الأكبر أحمد الطيب
شيخ الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد/

فإنَّ الحضارة الإسلاميَّة، منذ فَجْرِها البازغ، قامت على تكامُلٍ بين العقل والوَحْي، وأَعْلَتْ من شأن التفكير العقليِّ، بوصفه وسيلةً لفَهْم نُصوص الشَّريعة واستنباط أحكامها، وربطتْ بين القضايا العقليَّة والنقليَّة في تَناغُمٍ لا نظيرَ له.

ولقد أسهم هذا التكاملُ في بناء صَرْحٍ فكريٍّ وحضاريٍّ، لم تَزَلْ آثارُه شاهدةً على عُمقِ المنهج الإسلاميِّ وثرائه في المجالات كافَّةً، وعلى رأسها العلومُ العقليةُ التي لم تكنْ يومًا مُناهِضةً للوَحْي، بل كانت أداةَ فَهْمِه وتأكيدَ دلائله، في مواجهة الانحراف والتشكيك، والغلو والتأويل الباطل، بغير منهج أو قانون.

وفي قلب هذه المنظومة الفكريَّة يقف الإمامُ أبو الحسن الأشعريُّ شامخًا، بوصفه أحدَ أبرز أعلام أهل السُّنة والجماعة؛ حيث استطاع - من خلال منهجه المتميِّز في علم الكلام - أن يَضعَ أُسُسًا متينةً لإثبات العقائد والدِّفاع عنها؛ بناها على قوَّة الدَّليل العقليِّ وسلامة الفَهْمِ النَّقلي، ممَّا أكسبَ مذهبَه قبولًا واسعًا بين علماء الأمَّة عبر القرون، وما قام به «الأشعريُّ» هو -في حقيقة الأمر- صياغةُ مَذهبٍ عَقَديٍّ يَنصُر فيه القرآنَ والسُّنةَ بدلالات العقول، وبيان أن نصوصَ الوَحْي تَستقيمُ على طريق العقل الخالص، إذا تجرَّد من شوائب الهوى، ولَجَاجِ الجدل والأغاليط والسفسطة.

ويؤكِّد العلماء أن هذا المذهبَ ليس مذهبًا مُحْدَثًا جديدًا، بل هو حركةُ إحياءٍ وعَودةٍ لِمَا كان عليه النبيُّ ﷺ، ولِمَا تَرَك عليه المسلمين؛ يدلنا على ذلك أن السَّندَ الذي اتكأ عليه «الأشعريُّ» وأحياه واستمسك به هو ما ورد في صحيح البُخاريِّ مِن قوله ﷺ: «مَن صلَّى صلاتَنا، واسْتَقبلَ قِبْلتَنا، وأكلَ ذَبيحتَنا، فذلك المُسلِمُ الذي له ذِمَّةُ الله وذِمَّةُ رسولِه،

فلا تُخْفِرُوا اللهَ في ذِمَّتِه»[1]، وكان هذا الحديث الصحيح نصب عينيه في كل ما سطَّر وكتب، وحين حَضرتْه الوفاةُ قال لأحد تلاميذه في بغداد: «اشهدْ عليَّ أنِّي لا أُكفِّرُ أحدًا من أهل القبلة؛ لأن الكلَّ يُشيرون إلى معبودٍ واحد، وإنَّما هذا كلُّه اختلافُ العبارات»[2].

وفي هذا السِّياق درج تلاميذ الإمام الأشعري، وحَرَصُوا على الجَمْع بين الحكمة والشَّريعة، باعتبار أن علومَ الحكمة ليست علومًا مَعزولةً عن الشَّريعة، وإنما هي بكونها أداةً للفَهْم والاستنباط، تُعزِّز قدرةَ الإنسان على إدراك حقائق الوجود، وَفْقَ منظومةٍ مُتَّسقةٍ مع العقيدة القائمة على الوحي المنزّل، وهذا ما نراه جليًّا واضحًا -على سبيل المثال- عند كلٍّ مِن الباقلَّاني والجُوَيْنِيِّ والغَزاليِّ والرَّازيِّ والآمِديِّ.. وغيرِهم.

وهذا يؤكِّد لنا أهميةَ مذهبِ أهل السُّنة ومنهجه القويم، وهو أحوجُ ما يَحتاج المسلمون إلى معرفتِه اليوم؛ للخروج من الفِتَن المذهبيَّة والعَقَديَّة، التي ينزلق إليها بعض المسلمين وهم لا يشعرون، وفي مقدمتها: «فتنة التكفير»، كما يُظهِر لنا أهميةَ هذا المذهب في واقعنا المعاصر؛ بنظرته للتَّجديد على أنه إحدى الخصائص الذَّاتية لهذا الدِّين، وبه يبقى الإسلام دومًا نظامًا فاعلًا في دُنيا الناس، وهو ما حَرَص عليه أئمَّةُ المذهب باستخدامهم كلَّ المعارف الممكنة، والحُجَج والبراهين المنطقيَّة، في إثبات العقائد الدينيَّة، ومواجهة خصومها.

وفي خِضَمِّ هذه الجهود يَبْرُزُ الأزهرُ الشَّريفُ منارةً علميَّةً وحضاريَّةً، لا يَخفى أثرُها في الحفاظ على وسطيَّة الإسلام؛ فكان أن حمل لواءَ الدِّفاع عن عقيدة أهل السُّنة والجماعة، وسعى لنشر قِيَم العدل والتسامح، في مواجهة الغُلوِّ والانحراف والتشدُّد، وبحيث لم يَعُدْ ممكنًا -بحالٍ من الأحوال- تَجاوزُ جهود تلك المؤسسة، أو تَجاهُلُ أَثَرِها الرِّياديِّ في تطوير العلوم العقليَّة، وصياغةِ مناهجَ معرفيَّة، تقوم على الجَمْع بين النَّقل والعقل، واستقرار لمجتمعات المسلمين، وإشاعة السلام والطمأنينة، والثقة في رحمة الله وفضله ومغفرته، وغير ذلك مما أكسب المذهب الأشعري مكانةً سامقةً بين المؤسَّسات العلميَّة والدِّينية.

واليومَ، ومِن رَحِمِ هذا التُّراث الزَّاخر، ينبثق «مركزُ الإمام الأشعريِّ» بالأزهر الشَّريف مشروعًا علميًّا واعدًا، يُعنَى بإحياء مذهب أهل السُّنة، وتجديد الخطاب العَقَديِّ والفكري، ومواجهة التطرُّف والانحراف، والخرافة والعشوائية، ويهدف إلى ترسيخ منهج الوسطيَّة الذي

(١) أخرجه البُخاريُّ في صحيحه، كتاب: الصَّلاة، باب: فَضْل استقبال القِبْلة، حديث رقم: (٣٩١).
(٢) تَبْيين كَذِب المُفْتَرِي لابن عساكر، ص ١٤٩.

يُمثِّل جوهرَ الإسلام، وتوظيف العلوم العقليَّة في مواجهة التحديات الفكريَّة المعاصرة، بما في ذلك الردُّ على شُبهات المستشرقين والمُشكِّكين.

ومن هنا تأتي رسالةُ مَجلَّة «الحِكْمة الإسلاميَّة»، التي يُصدِرها مركزُ الإمام الأشعريِّ، لتُعيدَ إحياء هذا التَّكامُل، وتُسهِمَ في تجديد الفكر الإسلاميِّ، في ظل تحديات معاصرة، تستهدف زعزعةَ العقيدة والوَعْي الدِّيني السَّليم.

هذا، وتُمثِّل مَجلَّةُ «الحِكْمة الإسلاميَّة» مبادرةً علميةً طَمُوحًا لخدمة القرَّاء والباحثين، بما تضمنه من نَشْر الأبحاث الرَّصينة في مجالات العقيدة والفلسفة والفكر، وكلِّ ما يَرتبط بقضايا أصول الدين لدى أهل السُّنة والجماعة، بلغات عدّة، وبأقلام العلماء المسلمين، والمهتمّين من الباحثين الغربيِّين.

وتَسعى المَجلَّةُ لتكونَ مِنصَّةً لكل المفكرين، سواء من داخل الأزهر الشَّريف أو من خارجه، لتقديم دراساتٍ علميَّة تُسْهِم في إثراء المكتبة الإسلاميَّة المعاصِرة، وتَجمع بين التُّراث والمعاصَرة؛ خدمةً للإسلام وعلومه، وإسهامًا في بناء وَعْيٍ فكريٍّ يُعزِّز قِيَم الاعتدال والوسطيَّة، في عالَمٍ يَموج بالتحديات الفكريَّة والثقافيَّة، والتيَّارات المتعارضة.

إنَّنا في مَجلَّة «الحِكْمة الإسلاميَّة» نَمُدُّ أيدِيَنا إلى الباحثين والمفكِّرين في مختلِف أرجاء العالَم الإسلامي، وندعوهم إلى الإسهام في هذا المشروع العلميِّ الرَّفيع، من خلال نَشْر أبحاثهم ودراساتهم التي تُعزِّزُ مِن مكانة العقلانيَّة الإسلاميَّة، وتَدْعَمُ رسالة الوسطيَّة والتجديد، وتشيع التسامح الفكري، والنَّظر المنهجي، والولاء للحقِّ وحده.

والله مِن وراء القَصْد وهو يَهدِي السَّبيل.

أحمد الطيب

شيخ الأزهر الشريف
رئيس مركز الإمام الأشعري
رئيس مجلس إدارة المجلة